أثر الحضارة العربية الإسلامية في أوروبا وكشف العالم الجديد
مؤتمر « الاندلس ملتقى عوالم ثلاثة » : إشبيلية ، ١٩٩١/١١

د. أحمد عبد الحليم عطيه
كلية الآداب، قسم الفلسفة – جامعة القاهرة

مقدمة

عقد في إشبيلية بأسبانيا مؤتمر عن الحضارة العربية الإسلامية، في الأسبوع الأخير من نوفمبر / تشرين الثاني ١٩٩١ تحت عنوان « الأندلس ملتقى عوالم ثلاثة »، يعرض للعلاقات العربية – الأوروبية – الأمريكية عبر الأندلس. وقد شارك في أعمال هذا الملتقى أكثر من أربعين عالما وباحثا من الجامعات العربية والأسبانية. نشرت أبحاثه في كتاب أصدرته الهيئة المنظمة له : المعهد المصري للدراسات الإسلامية ومعهد التعاون مع العالم العربي. دارت الأبحاث حول عدة محاور رئيسية، توضح عمق العلاقة والتأثير بين الحضارات الثلاث. وهذه المحاور هى : أثر الحضارة العربية الاسلامية في الفلسفة والعلم، وعلوم اللغة والأدب والتصوف، والجغرافيا والرحلات واكتشاف العالم الجديد.

وسوف نعرض الأبحاث من خلال ترتيب خاص يتيح لنا فهم الدور التاريخي والحضاري الذي قام به العرب في النهضة الأوروبية والمساعدة في كشف العالم الجديد.

المحور الاول : تاثير الفلسفة والعلم العربي على اوروبا :

يمكن أن نعتبر ورقة مارتنينث مونشابيث – وان كانت ورقته تأملات شخصية – مدخلا لهذا المحور، وقد تركزت حول ثلاث نقاط هي : ١ – مفهوم الأندلس كحدث تاريخي خاص وفريد ولا يمكن مقارنته بحدث آخر، ٢ – مفهوم الأندلس باعتباره حدثا مشتركا بين الأسبان والعرب، ٣ – مفهوم الأندلس باعتباره حقيقتين مزدوجتين هما التاريخية والرمزية.

وتأتي الأوراق التالية توضح دور الأندلس الفريد كفكرة وكواقع تاريخي في تأكيد العلاقة بين العرب والأسبان، وفي التمهيد للنهضة الأوروبية، وفي اكتشاف العالم الجديد. فيعرض د. السباعي من جامعة القاهرة لدور الأندلس في حركة النقل والترجمة عن العربية إلى اللاتينية في القرنين الثاني والثالث عشر

الميلاديين. ويتناول وسائل الاتصال الحضاري، وحركة النقل والترجمة، والحضارة الإسلامية وانجازاتها في الأندلس، ثم دورها في حركة الترجمة، موضحا أهم المدن وأشهر المترجمين.

ويبين ميجيل كروث أرناندنت العلامة الأسباني بين العلاقة الفكر الأندلسي والمبادئ الأيديولوجية للنهضة، فالعالم الأوروبي قد تغذى ثقافيا من العالم الإسلامي، خاصة الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام والتصوف في الفترة بين ١١٥٠ و ١٢٦٠ م. ويرى أرناندنت أن هناك صعوبة كبيرة في فهم اللاهوت الطبيعي في القرنين الثاني والثالث عشر بدون فهم مساهمة الفلسفة وعلم الكلام، أو في فهم النظريات السياسية دون استعراض جهود ابن رشد، ومن غير معرفة العلوم العربية التي فتحت الطريق أمام إمكانيات العلوم التجريبية.

يتناول د. أحمد عثمان استاذ الدراسات الكلاسيكية موضوع « أسبانيا ملتقى الحضارتين اللاتينية والعربية »، فيبين أن علاقة أسبانيا بالشرق تسبق فتح الأندلس، ويبين أن التقاء التراث اللاتيني (الأغريقي) بالحضارة العربية الإسلامية (ذات المنابع الشرقية القديمة) على أرض أسبانيا قد أشعل الشرارة الأولى في النهضة الأوروبية الحديثة. ويتابع د. طه جاد الحديث عن دور الأندلس في قيام النهضة الأوروبية فيثبت أن كل نهضة وكل وعي وتجدد حدثا في أوروبا كان لعرب الأندلس فيهما يد. ويستشهد بعبارة جون دوانبورت المؤرخ البريطاني « لو لم تقم في جنوب أوروبا الحضارة العربية الأندلسية لظلت أوروبا تسبح إلى اليوم في ظلمة الجهل ». ويبدأ بوصف الحياة السياسية والاقتصادية بالأندلس ويوضح الآثار الثقافية الأندلسية على أوروبا، ويتحدث عن البعثات الأوروبية إلى الأندلس، وأثر اللغة العربية في الدول الأوروبية، ويناقش أثر الأندلس على أوروبا في مجال الموسيقى والعمارة وكذلك الطب والصيدلة والنبات والرياضيات والفلك.

وتدرس د. آمنة نصير الأستاذة بجامعة الأزهر « دور الأندلس في النهضة الأوروبية في الفلسفة » وتبرهن أنه كان لأصالة فلاسفة الأندلس دور خطير في تحرير العقل الأوروبي والتمهيد للنهضة الأوروبية في ميادين عديدة. وترى أنه « لولا فلسفة المسلمين في الأندلس وانتشارها في أوروبا لما قامت هذه النهضة ». وتوضح نتائج الاتصال الأوروبي بحضارة أسبانيا فى الحقائق الآتية : ١ - الاتجاه نحو الطبيعة والعناية بالبحث والتجربة، ٢ - والميل إلى التفكير الطليق والتحرر من سطوة رجال الدين وقهر الكنيسة، ٣ - والاتصال بالثقافة اليونانية ومعرفة أرسطو من خلال شروح ابن رشد.

ويحدد الدكتور محمد مهران بحثه في بيان « دور الأندلس في تطوير المنطق العربي » إذ أدت الحضارة العربية في الأندلس دورا ملحوظا في تطوير دراسات المنطق، وقدمت لنا نخبة من المناطقة متميزين، قاموا بجهود هامة للحفاظ على هذه الدراسات في ظل جو عدائي لمثل هذه الدراسات. فقد ساهمت الأندلس في تطور المنطق العربي منذ القرن الرابع الهجري بجهود مناطقة مشهورين، الا أن القرن

السادس يعد بحق قرن الأندلس بالنسبة إلى الدراسات المنطقية. وكان ابن رشد هو الوجه الساطع للمنطق في ذلك القرن. ويوجز مهران أهم ملامح الدراسات المنطقية في الأندلس في : ارتباط المنطق بالطب، محاولة إحياء مدرسة بغداد المنطقية من حيث الاهتمام بالنصوص المنطقية الأصلية وخاصة النصوص الأرسطية وشروحها، محاولة تنظيم النظرية المنطقية وايجاد حلول للموضوعات التي كانت تبدو موضع خلاف.

ويرتبط بهذا المحور الذي ساهم فيه مؤرخو حضارة وفلاسفة، محور ثان يدور حول إنجازات العلم خاصة في مجال الفلك، ونظرا إلى كونه جزءاً من المنجز العقلي فهو يمثل مع ما سبق وحدة واحدة بحيث يمكننا تناولهما سويا. والملاحظ أن جميع مساهمات هذا المحور قدمها أساتذة وباحثون أسبان. فقد تناول ميرثي كوميس « طريقة تحديد الساعة خلال الليل في قرطبة في القرن العاشر » اعتمادا على كتاب « الهيئة » لقاسم بن مطوف القطان، وهو أقدم نص فلكي أندلسي معروف. ويعرض كل من : روسير بويج، واميليا كالبو لتطور الأجهزة والآلات الفلكية الإسلامية وأثرها على أوروبا. ويقدم الأول مثالاً على ذلك الجهاز المعروف باسطرلاب روجاس، بينما يتناول البحث الثاني تطور الأجهزة الفلكية الجامعة في الأندلس وانعكاساتها على أوروبا منذ القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر، فيبين أن هذه الأجهزة كانت مصدر إلهام لفلكيين لاحقين، وظل تأثيرها حيا حتى مطلع القرن السابع عشر. ويعرض ماريباس أغيلار في دراسته «تعليق لابن البنا المراكشي حول القبلة ». ويتوقف أورورا كانو ليديسما أمام « أوجه التشابه والفروق في الطب الأندلسي بين الزهراوي والغافقي خاصة في مجال طب العيون »، لاسيما عمليات التشخيص والأعراض والعلاج لمختلف الأمراض التي يستعرضانها.

المحور الثاني : الدراسات الأدبية المقارنة واللغة والتصوف :

تدور أبحاث هذا المحور حول علوم الأدب واللغة والنقد والتصوف، وهي دراسات في العلوم العربية والدينية. ويلاحظ على أبحاث هذا المحور تداخل مجال التناول بين أكثر من علم وتشابكها مع موضوعات المحورين الآخرين، وغلبة المنهج المقارن وهو ما يتفق تماما مع دور وطبيعة المتلقي، ويظهر في العرض التالي للأبحاث.

تتناول د. جوزين جودت عثمان أستاذة الأدب الفرنسي أثر الفتح الإسلامي للأندلس علي الأدب الفرنسي من خلال دراسة شخصية الفارس في بحثها « شخصية الفارس ومفهوم الفروسية بعد الفتح الإسلامي للأندلس في الشعر والمسرح والقصة في فرنسا منذ القرن التاسع حتى القرن الثامن عشر ». وتقارن مع ما جاء في العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي وتيوقيل جوتيه شاعر البارنس الفرنسي، وما كتبه ستندال عن الحب مع ما جاء عند ابن حزم في « طوق الحمامة ». وتحدد شخصية الفارس ومفهوم

الفروسية في أربع مراحل : الفروسية مهارات - الفروسية أخلاقيات - الفروسية سلوك رفيع - الفروسية المتدهورة.

ويتابع د. فخري قسطندي هذا الاتجاه المقارن في دراسته « مسرحية بيرجنت لهنريك ابسن وفن المقامة العربية الأندلسية » خاصة في شخصية البطل الذي يتصف عند كليهما بأنه هو صانع الأحداث وأداة وحدتها، وأنه ينتمي إلى طبقات الشعب الدنيا، وأنه مقدام وحاد الذكاء ودائم الترحال وجوّاب آفاق. ويعرض سالبادور بيشافي نفس الاتجاه لـ « أبو العباس خيريث وتعليقه على مقامات الحريري ». ويخصص د. سعد البازعي دراسته « إنقاذ الثقافة : العرب بين سرفانتيس ووردزورث ويتيس » حيث يعرض لنا في بحثه الكيفية التي تناول بها الكتّاب شخصية العربي.

ويدور بحث لويس ف. بيرناني يونس على « الأندلس في الأدب الموريسكي » ويرى أنه بالرغم من أن موضوع أسبانيا والأندلس لم يحتل بشكل كامل أياً من المؤلفات الهامة في هذا الأدب، فإنه موضوع تطرقه أجزاء مختلفة من تلك الموضوعات، خاصة تلك المتعلقة بالتنبؤات وعلم الجفر. وفي نفس الاتجاه يكتب د. على عبد الرؤوف البمبي عن « الملامح العربية في رواية : الكونت لوكانور لمؤلفها دون خوان مانويل » الذي يعدّ في عرف الكثيرين بمثابة نواة الرقابة الأوروبية والمعبر عن تطور الروح الانسانية فيما يسمي تاريخيا بعصر النهضة. ومن القراءة الأولية للكتاب يتضح أنه يتضمن ملامح ثقافية عربية من السهل التعرف عليها خاصة الأفكار والمعتقدات الإسلامية.

ويعرض الدكتور أسعد شريف عمر في بحثه قضية « الخيال والتراث في نصين : لخورخي لويس بورخيس ونجيب محفوظ مأخوذين عن احدى حكايات ألف ليلة وليلة » وهو موضوع قريب من بحث د. ابتهال يونس « خورخي لويس بورخيس والتراث الثقافي الشرقي » فهو (بورخيس) يشير في مناسبات عديدة إلى هذا التراث خصوصا ابن رشد، واخوان الصفا، والفارابي، وابن سينا، والعطار، وعمر الخيام والغزالي. ومن جهة أخرى فإن النظرة الكونية لبورخيس فى خطوطها العامة تفرض عقد مقارنة بينه وبين الصوفي ابن عربي.

وهذا ينقلنا الى عدة أبحاث في التصوف القيت في الملتقي، والرابطة بين هذه الأبحاث والأبحاث التالية نجدها لدى د. نصر حامد أبو زيد الذي يدور بحثه حول التصوف واللغة والتأويل « ابن عربي واستنفاذ كل امكانيات اللغة تأويلا »، بينما يدور بحث خوان أنتونيو باتشيكو بانياجوا حول « المتصوفة في الأندلس والروحانية العربية »، فقد كانت الاندلس وطن كبار الصوفية في الإسلام، تبرز معالمهم الاساسية في ابن عربي وابن عباد، وهو يرى استحالة فصل الأوجه التعليمية النظرية لديهما عن ميولهما الاجتماعية وعلاقاتهما مع أوساط معينة من النظام السياسي القائم. ويدخل ابن عربي كنقطة ارتكاز في بحث د. محمود السيد على « الخلق بين ابن عربي وكالديرون دي لاباركا وميجيل دي اونامونو » حيث

يعرض لامتداد رؤية فلسفة خلق العالم عند ابي عربي إلى الكاتب المبدع كالديرون دي لا باركا (القرن السابع عشر الميلادي) والمفكر ميجيل دي أونامونو (القرن العشرون). ويعرض براوليو خوستل لإحدى مخطوطات الاسكوريال « رحلة إلى الشرق » للمتصوف الأشبيلي أحمد الجزار. وهي أقرب إلى أدب الرحلات مثلها مثل دراسة د. شوقي حبيب « تحفة الألباب ونخبة الإعجاب بين الحقائق والعجائب : قراءة في رحلة أبي حامد الغرناطي ».

ويرتبط بالأدب اللغة وعلوم القرآن وفلسفة النقد وهي موضوعات الأبحاث التالية : الأول للدكتورة وفاء محمد كامل عن « تأثير الأندلس في المعاجم العربية ». ويكتب د. محمد أحمد عيسوي عن « دور الأندلس في تلاوة القرآن الكريم وتجويده » والفونسو كارمونا عن « تأثير الفقه القانوني الأندلسي في التأليف الحقوقي المغاربي بعد القرن الثالث عشر ». ويتناول د. جابر عصفور استاذ النقد ورئيس قسم اللغة العربية موضوع « القضية والفن : قراءة في ابن حزم الظاهري ». ويدور بحث سعاد المانع « شعرية ابن رشد بين التنظير والتطبيق » حول تنظيرات ابن رشد للشعر وتطبيقاته على الشواهد من الشعر العربي.

المحور الثالث : الجغرافيا والرحلات واكتشاف العالم الجديد :

والمحور الثالث يتناول الجغرافيا والرحلات واكتشاف العالم الجديد. وقد قدم الباحثون عدة دراسات تتناول الجهود الجغرافية العربية والمساهمات التي قدمها الجغرافيون العرب والتي ساعدت على الكشف عن العالم الجديد. فيقدم لنا د. أحمد اسماعيل رئيس قسم الجغرافيا بآداب القاهرة دراسة عن « الأدريس وحديث الفتية المغررين » كنموذج للأثر العربي في المعرفة والكشوف الجغرافية. حيث يعرض للجهود التي قام بها العرب في مجال المعرفة والكشف الجغرافي، ويتوقف عند الإدريسي أبرز الجغرافيين العرب الذي كان له أثر واضح في الثقافة العربية وفي المؤلفات والرحلات الأوروبية أيضا. ويشير إلى « الفتية المغررين » وهم مجموعة من الشباب الذين قاموا برحلة في المحيط الأطلنطي خلال القرن العاشر الميلادي، أي قبل عبور كولمبس للمحيط بقرون خمسة. ولعل هذه الاشارة كانت حافزا للقيام برحلات الكشف الجغرافي بعد ذلك، وهي توضح أن العرب والمسلمين قد سبقوا الأوروبيين في محاولات الكشف الجغرافي. وكانت محاولاتهم دافعا ليغير الأوروبيون أفكارهم عن الملاحة والرحلات.

ويعرض د. جمال عبد الكريم للأفكار العربية في اكتشاف الأمريكتين من خلال المصادر العربية والأندلسية. ويوضح أن في كتابات الجغرافيين العرب (الإدريسي وأبو الفدا والمسعودي وياقوت الحموي) كثيراً من المعلومات التي تؤكد معرفة العرب بأمريكا قبل اكتشاف كولمبس لها، حيث أشاروا إلى أن الإبحار عن طريق أعمدة هرقل يوصل إلى بلاد الهند. وكتب فرانشيسكو فرانكو سانشيت عن

« الأندلس كجزيرة في البحر المتوسط : قراءة أيدولوجية للخرائط الإسلامية للأندلس ». وخصص تيبيسيس باراديلا الونسو دراسته للحديث عن « اكتشاف عوالم جديدة : أمريكا وأوروبا في أخبار رحلات مؤلفين عربيين الموصلي والطهطاوي ». وكتب قاسم عبده قاسم عن « رحلتان أندلسيتان إلى القاهرة : ابن جبير وابن سعيد المغربي ». وكتب عن الرحلات أيضاً كل من د. معجب سعيد الزهراني حيث خصص بحثه في « الرحلة إلى الغرب في الرواية السعودية المعاصرة »، ومحمد زعبة « أدب الرحلات في العصور الوسطي ». وأخيرا نشير إلى بحث خورخي لبرولا ديلغادو « آراء حول تطور الملاحة العربية في الأندلس وانعكاساتها على الممالك المسيحية فى شبه الجزيرة الأيبيرية ».